مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

الانتظار الإيجابيّ انطلاقًا من الجغرافية السياسيّة الإسلاميّة

السيّد د. عليّ عبد الله فضل الله

2024

www.barathacenter.com

الانتظار الإيجابيّ انطلاقًا من الجغرافية السياسيّة الإسلاميّة

السيّد د. عليّ عبد الله فضل الله

◆ تاريخ الطبعة:
2024 م- 1446هـ

◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

الانتظار الإيجابيّ انطلاقًا من الجغرافية السياسيّة الإسلاميّة

السيّد د. عليّ عبد الله فضل الله[1]

ملخّص

إنّ ظهور الإسلام على الدين كلّه يتطلّب توفير أسباب طبيعيّة على أيدي المؤمنين، ومنها فَهْمُ الجغرافية التي ستخضع، أخيراً، لهيمنة الحقّ. والفهم الذي يؤدّي إلى توزيع مهامّ على الممهديّن، حتّى إذا أذِن الله تعالى بتحرير الأرض من الظلم والجور، كان استطلاع الجغرافية جاهزًا للبدء بالعمل وإنجازه. هذه الورقة البحثيّة تطلّ على جيو-إستراتيجيّة حركة الإمام المهديّ (عج)، وهي دعوة لمزيد من الاهتمام بهذا الجانب.

الكلمات المفتاحية:

الجغرافية السياسيّة، التمهيد، الظهور، علامات، دولة العدل الإلهيّ، الجيوبوليتيك، الإستراتيجية، العمليّات الميدانيّة.

---

1 - أستاذ حوزويّ وجامعيّ.

مقدّمة

عُنوانُ هذا البحث نوعيّ وجديد، ومجال التوسعة فيه محدود. مثل هذه العناوين، ذات الطبيعة البحثيّة، تشكّل قفزةً في اتّجاه تطوير مجال معرفيّ مهمّ ومتّسق مع الثقافة الإسلاميّة. لقد امتلأَت الأكاديمية بنتاجات «علميّة» طرحها الآخرون، وبات لزامًا التفكير خارج صندوقه، وإنتاج معارف نافعة وحقيقيّة وأصيلة.

تتوجَّهُ هذه الورقة إلى المؤمنين بالإمام المهديّ (عج)، وفق روايات الرسول (ص) وأهل بيته (ع)، وإن كانت فكرة الخلاص عالميّة، كما هو معروف. «هذا «المخلّص»... أو «المهديّ»، في كلّ دين، يتزيّا بزيّ الدين؛ فهو في اليهوديّة يعمل لتخليص اليهود وإعلان سيادتهم على العالم، وهو في المسيحيّة نقيض ذلك، يقضي على اليهود ويعلن حكم المسيح، ولكنّه في الإسلام «يملأ الدنيا عدلاً كما مُلِئَت جورًا»[1].

تُناقِشُ هذه الورقة مفهوم الانتظار الإيجابيّ، وهو فكرة متداوَلة، لكنّها تركّز

1 - جمال البنّا، نظريّة العدل في الفكرة الأوروبيّ والفكر الإسلاميّ، ص 80.

على ربط هذا الانتظار بالجغرافية السياسيّة، وهي مقاربة جديدة. أساسًا، إنّ ميدان الجغرافية السياسيّة -كفرع تخصُّصيّ- حديث، وإن كان البحث في تأثير الجغرافية على المجال العامّ ليس حديثًا. فيكون من المفيد -ولو باختصار- التعرّض لهذا العنوان الذي يضيء على نقاط جيّدة في إطار التمهيد لدولة آخر الزمان.

■ الانتظار الإيجابيّ وبناء أسباب الظهور

مَنْ يؤمن بالإمام المهديّ (عج)، ويروم الوصال والمشاركة في حركته العظيمة، سيكون -حُكمًا- شغوفًا في جمع المعطيات المتعلقّة به كلّها، وتحليلها. فالانتظار الحقيقيّ والصادق يصنع الشوق والتطلُّع إلى ذلك المستقبل الزاهي والجميل، ويدفع نحو التحرّك والتمهيد لهذا الحدث الضخم والاستثنائيّ في تاريخ البشر، و"المبالغة في إتعاب النفس في ذات الله وإعلاء كلمته"[2]. المهَمَّة ليست سهلة، وانتظرَها الصالحون طويلاً جدًا؛ لأنّ أسباب تحقُّقِها بنجاح صعبةٌ للغاية، لكنّها ليست مستحيلة.

الانتظارُ هو من سنن التاريخ. وعبر العصور، مرّت الجماعات البشريّة بتجارب الانتظار، وما يُسَمّى بـ"فترةِ مِن الرُّسُل". يبدو أنّ تحقيق الأهداف

2 - ابن رشد، مقدّمات ابن رشد، ص 258-259.

العامّــة يتطلّب، في بعض الأحيــان، اختمار ظروف معيّنــة وتأهيلاً متطاولاً عبر الزمن؛ لأنّ الله تعالى يُجري الأمور بأسبابها الطبيعيّة. فالتاريخ لا تسيّره المعجزات، عمومًا؛ لأنّ الأعــمال الخارقة للعادة والمقترنة بادّعاء النبوّة لها هدف محدَّد. لذلك، وبســبب طبيعة الاجتماع البشريّ، ولزوم تراكم تجارب النــاس ونموّ إخلاصهم، فإنّ مرور الوقت يصبح قاعدةً للحياة على الأرض، في انتظار اللحظة المناسبة التي يتحقَّق فيها التوفيق للتغيير الاجتماعيّ.

ويعود الأمر إلى ما هو أبعد من ضرورة تقبُّل تأخُّر نهضة المجتمعات باتّجاه الحقّ، وهو أصل خلق الله تعالى لنا، وغايته. فاستخلافُه -عزّ وجلّ- للإنسان مرتبــطٌ بتكامله الحُرّ والإراديّ نحو النموذج الذي يريده تعالى لِبَني آدم على الأرض. هذا التكامل ليس عمليّة بسيطة، لا فرديًّا ولا جماعيًّا. التكامل الفرديّ بالتقوى يحتاج إلى إرادة وتوفيق ورياضات روحيّة مستمرّة، وإخلاص لا يكبو عند أوّل هفوة. أمّا خلوص المجموعات فهو أصعب؛ بسبب تراجُع احتماليّة توافُق أشــخاص عدّة معًا على التقوى والصلاح، وصولاً إلى تحصيل مَلَكةٍ راســخة مانعة من ارتكاب الحرام. ما لم يتحقَّق، حتّــى الآن، هو "المجتمَع المســتخلَف" بتمامه، وهو أمر واضح؛ لشدّة صعوبة اجتماع غالبيّة كبيرة من الناس على الإيمان -بشرائطه- في مكان وزمان واحد.

النموذج الأوّل -وهو الاستخلاف الفرديّ- حصل كثيرًا عبر التاريخ، ويكفي النظر إلى الأنبياء والأوصيــاء والصالحين وأعدادهم بالملايين. أمّا النموذج

الثاني -وهو استخلاف المجموعات- فنجد له نظائر أقلّ، كما في حالة أهل الكهف وسَحَرَة فرعون وشَرَطة الخميس. يبقى انتظار النموذج الثالث، الذي سيتحقَّق مع الإمام المهديّ (عج)، حيث ستمتلئ الأرض قسطًا وعدلاً، بقيادة معصومة، وثلّة "كأنَّ قلوبهم القناديل" -كما هو تعبير الرواية- ومجتمع صالح.

هذا الانتظار ينبغي أن يكون إيجابيًّا -كما يتّضح- لأنّ إلقاء الحجّة على العالَم هو عمليّة تسبق الظهور، ولأنّ الأمور تجري بأسبابها، كما ذكرنا. لذلك، ليس مِن عُذرٍ أمام أيّ مؤمن في أن يعمل لِبناء نفسه، ولمشاركة المؤمنين في بناء عُصبة حقٍّ فعّالة وناشطة، وللدفع في بناء مجتمع نموذجيّ -ولو مصغّر- يتميّز بالتديّن والنظام والجاذبيّة والثقة. قد لا يتمكّن الإنسان من تحقيق ذلك كلّه، ولكن عليه أن يسعى، خصوصًا بعد أفول أزمنة الاستضعاف، وعُلُوّ خطاب الاعتزاز بالقناعات الإسلاميّة. لا بدّ من الانتظار والعمل معًا، وإلّا يكون الشخص متناقضًا بين تَوقِه لتحرير العالَم من الظلم والجور المنتشر في أصقاعه، وبين عدم سعيه لتحصيل هذا التوق.

■ أنواع التمهيد وفق نظريّة الأسباب

للتمهيد أشكال كثيرة، بمقدار ما للمؤمنين قدرات متنوّعة، والأهمّ، بمقدار ما يحتاجه هدف عظيم، كنشر العدالة على الأرض كلّها للمرّة الأولى. إنّ تأسيس الدولة المستخلَفة يتطلّب الكثير من المقدّمات والقدرات والصبر

والتحمُّل والتخطيط ومحاولات التطبيـق. نحن نتحدّث عن دولة بها ينتهي التاريخ، وتكون خاتمة المسار الذي بدأه آدم (ع)، وتجيب عن سؤال الملائكة الأوّل: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِـدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء}[3]. هذا ليس هدفًا صغيراً يريد تحقيقه البشر الصالحون، بل هو أصعب هدف يمكن للجماعة البشريّة التفكير به، إلى حدّ أنّ كثيراً من المفكّرين مقتنعون باستحالته، ويكفي الاطّلاع على آراء منظّري "الواقعيّة" في ذلك.

في نظريّة الأسباب، وهي التي تركّز اهتمامها على تحقيق المؤمنين لشرائط الظهور المقدَّس، يكون التفكير منصَبًّا على بناء القدرات التي يحتاجها الإمام (عج) حين ظهوره. لا شـكّ بأنّ الإمام (عج) لديه مطلق الكمال الإنسـانيّ، لكنّ المشكلة كانت -دائمًا- في استجابة البشر. إنّ توفُّر الناصرين المؤهَّلين هـو شرط عقلائيّ ضروريّ لـكي يكون الإمام (عج) قـادرًا -بهم- على قيادة البشريّـة. لذلك، لا بدّ مـن العمل الحثيـث مِن قِبَل المؤمنـين، على توفير الظروف المناسبة لظهوره الشريف، ويكون ذلك عبر العمل على أبعاد متنوّعة من مَهَمَّة التمهيد.

هنـاك أوّلًا، التمهيـد الخاصّ والفرديّ، وهو مطلـوب من كلّ صادق في علاقتـه مع الله تعـالى، وهو منتظَرٌ مِـن كلِّ منتظِر. وهنـاك التمهيد العلميّ

3 - سورة البقرة، الآية 30.

المعـرفيّ، بأن يعرف المؤمن إمام زمانه وكلّ ما يتعلّق بحبيبه. وهناك التمهيد الثقافيّ والتبليغيّ، وهناك التمهيد التكنولوجيّ والعسكريّ والجغرافيّ، وهناك التمهيد الصحفـيّ والإعلاميّ، وهناك أيضًا التمهيد السـياسيّ والاقتصاديّ وغيرهـا. لكن، لعـلّ مِن أهمّ عنـاصر التمهيد، التمهيـد الإداريّ والدولتيّ. فالإمام (عج) قد يحتاج -أوّلاً- إلى قادة يديرون العالَم، ويتميزّون بالإخلاص والكتمان والمعرفة، وهو ما نجده -مثلاً- متحقّقًا في السفراء الأربعة في عصر الغيبة غير التامّة، وهو موضوع آخر.

فهم جغرافية حركة الظهور

في الروايات التـي تتحدّث عن حركة الإمام (عج) بعـد ظهوره، تفاصيل مهمّـة حول الأماكن والمناطق. هذا ليس تفصيـلاً، وكثرة وُرودها دليل على أهمّيّـة ما تحوزها من معطيات ضروريّة للمسـتقبل. لا يكفي مجرّد الاطّلاع على جغرافية خـروج الإمام (عج)؛ لأنّها معلومات حقيقيّة لها مشـخّصاتها على أرض الواقع. ينبغي التحقيق في تلك الروايات، وتحديد منهج التعاطي معها، ثمّ استطلاع الإقليم الذي فوقه ستجري أحداث مفصليّة. هذا جزء من التمهيد، وهو مطلوب، كما ذُكِر سابقًا، ومجرّد ذكرها على ألسِنة المعصومين (ع) دليل عـلى ضرورة الاهتمام بها؛ لأنّنا نجلُّهم عـن اللغو؛ فكلّ ما ذكروه له أهمّيّة.

يعـرفُ أيُّ مطّلعٍ عـلى مجريات الظهـور أنّ مركز الحـدث هو المشرق العـربيّ، من مكّـة إلى المدينة إلى الشرق نحو العراق، وشـمالاً نحو الترك، وصولاً إلى الشام وفلسطين والحزام الممتدّ ساحلاً من أنطاكية إلى العريش. هذه هي منطقة الأحداث الكبرى، وعليها ستجري معارك وهُدن، ومنها تنطلق جيوش الفتـح الحقيقيّ إلى العالَم. مَن يريد بناء أسـباب الظهور، وكسْـب شرف المساهمة أو المحاولة، فرديًّا أو جماعيًّا، سيُولي الجوانب كلّها التأمّل المطلوب، وسيبحث مع كلِّ متابع التفاصيل ذات الصلة. من هذه الأسباب، فَهمُ حركة الإمام (عج) جغرافيًّا، بحسـب الإمـكان، وتقصّي المصادر كلّها التي تشـير إلى ذلك، ولحْظ ضرورات الكتمان حيث يجب، وقاعدة البداء، ومستوى التسامح السنديّ، وصولاً إلى بناء صورة أوّليّة عن إستراتيجيّة الإمام (عج) في إطلاق حركته وإنجاحها.

■ إطلالة على نظريّات الجغرافية السياسيّة

الجغرافية السياسيّة مجال معرفيّ مهمّ ومتطوّر، ويُجيب عن أحد أهمّ الأسئلة السياسيّة: كيف يمكن السيطرة على العالَم؟ وهو مجال معنيٌّ ببحث أثر الجغرافية على السياسة، واستلحاقًا، أثر السياسة على الجغرافية. وفي ذلك، طرح منظِّرون الكثـير من الأفكار حول هذا الجانب، في محاولة للإجابة عن هذا السـؤال، أو -على الأقلّ- استكشاف ما للجغرافية من آثار على المجال العامّ السياسيّ.

ويمكن اختصار بعض هذه الأفكار، في عجالة، على النحو الآتي:

نظريّات الهيمنة عبر البحر

ركّزَت النظريّات الأولى في الجغرافية السياسيّة، على دور البحار وأهمّيّتها في العالَم، وعلى نظام السيطرة عليه. فكانت نظريّة (ألفْرِد ماهان)، مثلاً، تأسيسيّة في هذا المجال، حيث شرح هذا الأدميرال حول ضرورة التحكّم بالبحار من أجل السيطرة على العالَم. وهو استقى -كأميركيّ- تجربة الإمبراطوريّة البريطانيّة التي لا تغيب عنها الشمس، والتي سادت العالَم؛ لسبب رئيس، وهو قدراتها العسكريّة البحريّة.

وحتّى اليوم، لا يزال الكلام في البحار وأعاليها محوريًّا في الجيوبوليتيك والجيو-إستراتيجية، وثمّة تسليم عامّ بأنّ الاستثمار في القوّة البحريّة خطوة مهمّة من أجل تقوية الردع والوصول إلى أيّة نقطة في العالَم. ولذلك، تُخصِّص الدول الكبرى ميزانيّات هائلة من أجل بناء القدرات البحريّة وتطويرها، وبعض الناس ربمّا لا يعرف أنّ أغلى قطع عسكريّة في التاريخ هي القطع البحريّة.

نظريّات الهيمنة عبر البَرّ

في المقابلِ، طرح (راتزل) و(ماكيندر) و(هاوسهوفر) و(سبيكان) وغيرهم، أولويّةَ السيطرة البرّيّة؛ للهيمنة على الإقليم والعالَم، وقدّموا نظريّات موسّعة

حول «المجال الحيويّ» و«قلب العالَم» و«جزيرة العالَم»، وسواها من الأفكار التي تُفَصَّل في المجال التخصّصيّ. الذي يعنينا هنا هو الزبدة التي تؤشّر إلى أنّه توجد أهمّيّة ملحوظة للممرّات البرّيّة وسلاسل الجبال والسهول والنقاط الحاكمة وطبيعة الأرض والمناخ والمساحة والحدود والقرب من المناطق الحيويّة والموارد الطبيعيّة والخطوط التجاريّة والأراضي الخصبة وغيرها.

لكن تنبغي الإشارة هنا، إلى مفهوم "الانزياح الجغرافيّ". والمقصود به: التغيُّر في تصنيف أهمّيّة مناطق أو هويّتها، بناءً على حركة البشر فوقها. وهنا نلاحظ انزياحًا تدريجيًّا في التخطيط الإستراتيجيّ، من أوراسيا -رغم أهمّيّتها- إلى منطقة المشرق العربيّ، أو ما نفضّل تسميته بالإقليم المتوسّط. فمن هذه الأرض، انطلقَت الرسالات، واصطدمَت القوى، ويخرج المخلّص، كلٌّ بحسب اعتقاده. وهو ما يمكن -بسهولة- الالتفات إليه، حيث إنّ مستوى المتابعة العالَميّة لِما يحدث في هذه المنطقة استثنائيّ، إلى حدّ أنّ رئيسًا أميركيًّا سابقًا دعا إلى الكفّ عن الاهتمام الزائد بها.

نظريّات الهيمنة عبر الجوّ

مع تطوُّر سلاح الجوّ، تحدَّث بعضهم عن نهاية الجغرافية، التي طوّعَتها التكنولوجيا، وبات التركيز منْصَبًّا على صناعة الطائرات الحربيّة الحديثة أو استيرادها. مثَّلَت حرب كوسوفو عام 1999 أيقونةً في دعم هذا التوجُّه، حيث

جرى استهداف الصربيّين من قِبَل الناتو، بالطائرات، لمدّة 69 يومًا، دون أن يسقط للطرف المهاجِم أيّ ضحيّة، وهو ما أُطلِقَ عليه تسمية "الحرب الخالية من المخاطر" (Free Risk War). كانت المرّة الأولى في التاريخ التي لا يُقتَل فيها مهاجِمٌ في حرب، على الرغم من كثافة التدمير.

لم تلبث هذه الأفكار أن تعرّضَت لنكسة في حرب الكيان "الإسرائيليّ" على لبنان عام 2006، حيث لم يتمكّن سلاحه الجوّيّ من تحقيق الأهداف طوال 33 يومًا، على الرغم من إعلانه إطلاق ما مجموعه 175 ألف مقذوف، جزء مهمّ منها عبر الطائرات الحربيّة. لذلك، تراجعَت نظريّات (سيفيرسكي) و(حالوتس) وغيرهم، لصالح إعادة التوازن مع النظريّات البحريّة والبرّيّة، مضافًا إلى أهمّيّة الحروب السيبرانيّة والفضائيّة والإستراتيجيّة.

■ التمهيد الجيوبوليتيكيّ والجيو-إستراتيجيّ للظهور

مَن يعدّ نفسَه معنيًّا بتحرير نفسه والعالَم، والتخلّص من الجوْر والظُّلم، ويرغب أن يكون مشاركًا في هذا الجهد العظيم، هو معنيٌّ بالتمهيد له ومعرفته ودراسته، بناءً على ما تشير إليه الروايات، وما قد يقترحه العقل بالعموم. على المستوى الإقليميّ (الجيوبوليتيكيّ)، وعلى مستوى العالم (الجيو-إستراتيجيّ)، لا بدّ من التفكير مليًّا في كيفيّة تحضير الأرضيّة لحركة الإمام (عج)، بحيث يكون المؤمن صادقًا في نصرته لإمامه.

استطلاع جغرافية العلامات

كما مرّ أعـلاه، تتحدّث العلامات عن مناطق سـتجري فيها أحداث محوريّة في حركـة الظهور الشريف، وكلّها في منطقتنا. كما توجـد مؤشرات إلى مناطق محدّدة أخرى، لكن مِن مصادر غير إسـلاميّة، أو غير علميّة بالمعنى المنهجيّ الصارم. في النتيجة، يمكن الحديث عن محاور جغرافية أساسيّة، نذكر بعضها على الشكل الآتي:

• **الحجاز:** ولا سـيّما مكّة المكرّمـة، والمدينة المنـوّرة، وبعض الأحياء داخلها.

• **العراق:** من اصطخر، إلى الكوفة وظهرها، وكربلاء، وغيرها.

• **الشـام:** دمشـق ومحيطها، والوادي اليابس، ودرعـا جنوبها، إلى الكوَر الخمس وما يليها.

• **اليَمَن:** وقد ذُكِرَت صنعاء، ودور اليمانيّين معروف في حركة الظهور.

• **فلسـطين والخطّ الساحليّ:** حيث تجري الملحمة الكبرى، ومنها يكون تحرير العالَم.

• **مصر:** حيث للقاهرة دور إعلاميّ مهمّ.

• **إيران:** وهي مصدر الجيوش، وقومها مصداق الاستبدال.

هذه أسماء مناطق جغرافيّة معروفة في زمننا، وعليها ستجري أحداثٌ تنصّ عليها الروايات، وهي أحداث خطيرة ومحوريّة وتأسيسيّة في مستقبل البشريّة. لذلك، ليس من المعقول المرور عليها مرور الكرام، وانتظار الأيّام كي تُصَدَّق

النصوصُ على أرض الواقع. كان (ميثم التـمّار) يتعهّد، بالرعاية والاهتمام، النخلـةَ التي أخبره الإمام عليّ (ع) بأنّه سـيُقتَل ويُصلَب عليها، وهذا تصرُّفٌ معتبر وذو دلالة. فحين يكون المصير متعلّقًا بالجغرافية، فمِن العقلائيّ تمهيد الأرض لاستقبال مَن سيحرّرها.

يمكن اقتراح بعض الأفكار السريعة هنا على النحو الآتي:

• إطلاق جهود علميّة حول جغرافية حركة الإمام (عج) وجيوشه.

• تكليف ضبّاط مؤمنين بالقيام بدراسات طوبوغرافيّة حول طبيعة الأرض في المناطق المشار إليها.

• اسـتطلاع هذه الجغرافية فعليًّـا، وتحديد نقاط اعتـلام ونقاط جودزيّة[4] وقياس فيها، وهي مَهَمّة العسكريّين ومهندسي المساحة والطوبوغرافيّين.

• تأليف دراسة حول هذه المناطق على طريقة كتاب جمال حمدان (مصر عبقريّة المكان)، ولعلّه من أهمّ الكتب العربيّة في مجال الجغرافية السياسيّة.

• تحديد نقاط إسناد قريبة، أو الاستفادة من وجود موالين يقطنون في هذه المناطق، وربمّا بناء منشآت واحتياطات إستراتيجيّة فيها ما أمكن.

---

4 - النقط الجيوديزيـة (Geodetic Points) هي علامات أرضية ثابتة يتم بنائها و تحديد موقعها (احداثياتها) بدقة باسـتخدام تقنيات جيوديزية مثـل التثليث والتضليع عبر قياس المسـافات و الزوايا او باستعمال مقاييس و حديثًا من خلال معطيات الاقمار الاصطناعية (نظام التموقع الشمولي - GPS).

التنسيق الإستراتيجيّ بين القدرات متعدّدة الهويّات في جيش الإمام

جيشُ الإمام (عج) هو جيش متعدّد الجنسيّات، بحسب تسمية زمننا، لكنّه موحَّدٌ بهويّته التقوائيّة، وهذا الوصف يترتّب عليه نتائج مهمّة:

أوّلًا: إنّ تكوين الجيوش هو ذاته أمر مرهق واحترافيّ، ويحتاج إلى وقت، ولا سيّما تخريج ضبّاط لديهم كفاءة في تحرير الأرض. ثمّ إنّ الحرب "كما يفهمها جمهور غير المحاربين، هي معركة في الميدان بين الرجال والآليّات، وحدث ضخم حاسم لصراعٍ ما في الشؤون الدوليّة؛ هذه الحرب لم تعد موجودة"[5]. فهناك ضرورة لتأهيل قادة مواكبين لطبيعة الحرب العصريّة.

ثانيًا: لا نتحدّث عن أيّ جيش بمواصفات تدرّسها كلّيّات الأركان، بل نتحدّث عن جيش عَقَديّ سيواجه أعظم تحدٍّ في التاريخ العسكريّ، وهو السيطرة على المعمورة كلّها، وهو الأمر الذي ليس له سابقة أبدًا في التاريخ.

ثالثًا: عماد قوّات هذا الجيش المستضعفون، وليس شعوب القوى الكبرى التي تَهَيْكَلَت فيها البنى العسكريّة عبر العقود. وهذا يعني أنّ تأهيل هذا الجيش المليونيّ وتحويل ضبّاطه ورتبائه وعناصره إلى قوّة قادرة على التصدّي لأعتى الجيوش العصريّة، هو مَهَمَّة فائقة الصعوبة.

رابعًا: إنّ بناء الهويّة الإيمانيّة للجيش والحفاظ عليها هي مَهَمَّة ليست سهلة،

5 - روبرت سميث، جدوى القوّة: فنّ الحرب في العالم المعاصر، ص 19.

خصوصًا مع حدوث معارك شرسة مع تكاليف كبيرة. صحيحٌ أنّ وجود إمام ظاهر بعد غياب لقرون هو حافز استثنائيّ للمنتظرين، لكنّ التاريخ يدلّنا على أنّ وجودَ المعصوم بذاته لم يكن كافيًا لتحقُّق الطاعة التامّة في حروب تاريخيّة ومفصليّة. فحينما يَجِدّ الجدّ، سوف تختلف المعطيات، وهناك يومٌ للأبدال، الذين، قبل معركة كبرى يقودها وليّ العصر (عج)، يتركُ بعضُهم جيشَه لينضمّ إلى جيوش الأعداء. فالتحدّي موجود، والتمهيد يكون أيضًا في استباق معالجة مثلِ هذه الظواهر، وحصرها.

خامسًا: وهذا مهمّ، هو تعلُّم التنسيق بين قوّات مؤمنة متغايرة الثقافات واللغات. وهذا أمرٌ يحتاج إلى جهد وتمهيد وإدارة. في التجارب العسكريّة -وهو موضوع غنيّ- كانت العمليّات المشتركة للقوّات المتنوّعة تشكّل تحدّيًا مستمرًّا، خصوصًا من الناحية الإداريّة، وحُسن "التواصل والاتّصال هو عصب التنظيم القتاليّ"[6]. لذلك، من الضروريّ أن يجرّب المؤمنون القتال سويًّا، ويُجروا المحاكات لهذا النوع من الحرب، ويستفيدوا من العِبَرَ المستخلَصة من الجهود المتضافرة، ويعالجوا الثغرات التي تُسجَّل في هذه الأعمال. ولعلّ ابتلاء الصالحين بمعارك يضطرّون فيها للقتال معًا، قبل الظهور، مفيد جدًّا في التنسيق العسكريّ وتطويره، وصولاً إلى إتقانه.

6 - فادي شاميّة، القتال في العهد الراشد، ص 40.

نطاق العمليّات وبناء المركز الإمبراطوريّ الجديد للعالَم

عندَ ظهور الإمام المهديّ (عج)، سوف يكون هو القائد الأعلى، وهو سليل جدِّه أمير المؤمنين (ع)، الذي له علمٌ عظيم بالحرب، عدا عن شجاعته. إنّ قواعد الحرب والسلم لم تتغيّر منذ 2500 سنة، والتغيّر حصل في وسائل الفتك والاستعلام والحماية؛ أي الأدوات. ففي منطقة الحرب، «تجري أغلب الأمور وفق القواعد القديمة، مع استمرار قوّة عناصر الفعل وردّ الفعل»[7]. ومن ثمّ، فإنّ وجود معصومٍ ذي خبرة استثنائيّة، ومسدّدٍ من قِبَل الله تعالى، ومحاطٍ بعدّةٍ لا تضرّهم الفتنة أبدًا، يجعل من إمرته ضمانًا تامًّا لحُسن إدارة العمليّات، وصولًا إلى تحقيق الهدف.

طاعة الإمام (ع) في أوامره المولويّة واجبة، وعلى المؤمنين الاجتهاد في طاعته، وأن يصلوا إلى مرحلة أن يكونوا أَطوَع له من بنانه، ومن السابقين إلى إرادته، وليس فقط إلى تنفيذ قراراته. فيكون «القانون وحده هو الحاكم والسيّد، هذا القانون الذي يعبرّ منطوقُه عن حكمةٍ وبصيرةٍ»[8]، كما يصف أرسطو الالتزام بالقواعد الآمرة. لذلك، فإنّ مزيج قوّة القيادة وعصمتها، وإخلاص الناصرين وثباتهم، وقَبلهُ تسديد الله تعالى لهم في جهادهم، كفيل بتحقيق النصر المؤزَّر. هذا لا يلغي مسؤوليّة القادة والمدراء التنفيذيّين في

7 - Barry Buzan and Eric Herring, the Arms Dynamic in World Politics, 209.

8 - أرسطو، دعوة للفلسفة، ص 7.

حُسن تطبيق الأوامر، ويتحمّلون مسؤوليّة أيّ إخلال في ذلك.

أهمّيّةُ الجغرافية السياسيّة تنطلق هنا من جانبَين: الأوّل، هو زمن التحرير بالحرب، والعمليّات العسكريّة نطاقها العالَم كلّه، وقد تُعُرِّض لهذا الجانب أعلاه. والثاني، هو زمن القيادة في السلم، وهو أمرٌ له عناصره المهمّة في الفهم واستشراف المستقبل. فإنّ إدارة العالَم كلّه مَهَمَّةٌ ليست سهلة، ونلحظ الآتي:

• عاصمةُ دول الخلافة هي الكوفة، ومقرّ سكن الخليفة هو مسجد السهلة. وهذا الاختيار، الذي سبق إليه أمير المؤمنين (ع)، له دلالاته على صعيد العراق والإقليم والعالَم. هذا يعني أنّ قلبَ العالَم هو الكوفة، التي ستتوسَّع كثيراً بالعمران والأهمّيّة. وهو يعني أنّ التنظير الجيو-إستراتيجيّ ينبغي أن يلحظ مركز العالَم الجديد، وموقعه الوسطيّ، كما تناقش الجغرافية السياسيّة.

• العالَم سوف يُقَسَّم إلى ولايات يتولّاها أصحاب الإمام (عج)، وبعضهم -كما تذكر الروايات، وهذا مهمّ- سيقطن قبل الظهور في تلك المناطق. وهذا قد يعني -استناداً إلى النصّ- تمهيداً جغرافيًّا لِما سوف يكون لاحقًا مكانَ عملِ هؤلاء. وسوف يكون التواصل بين مركز الإمبراطوريّة الجديدة وهؤلاء سهلاً، وكما تذكر النصوص: بالنظر إلى الكفّ؛ ما يعني «عولمةً» مؤمنةً تستفيد من القفزات الهائلة التي ستتحقَّق بعد الظهور، على الصعيد العلميّ، وتجاوزاً لعوائق الجغرافية من ناحية التواصل المباشر.

• نطاقُ حاكميّة المعصوم سوف تمتدّ إلى الكون وما فيه من عجائب

قـدرة الله تعالى. وهنـاك مرويّات في هـذا الصعيد، يلحقهـا تحليلات في هـذا الجانب، وهي ليسـت موضوع بحثنا هذا. الجغرافيـة الفلكيّة هي فرع تخصّصي أيضًا، ولعلّ البشر سـوف يجدون أنفسـهم على اتّصال مع عوالم أخرى، وربمّا مع أبعاد غيبيّة، تنقل المجتمع الإنسـانيّ إلى مسـتويات أعلى بكثير ممّا هو حاصل حاليًّا.

يسودُ السلام الحقيقيّ، للمرّة الأولى في التاريخ، مع حكمِ المعصوم. فيجري تطويع الجغرافية، مع رفع الحدود، وتطوّر النقل والاتّصال، وثبات الأمن، وتطوُّر العلـوم. وتتحدّث روايات عن عودة الخضرة إلى بلاد العرب، فتتغيَّر الجغرافية أيضًا من هذه الناحية، وهو أمر له أثره على النفوس وشكل الحضارة.

خاتمة

إنّ العصر الذهبيّ للبشريّة قادم، ولا بدّ من التمهيد له؛ من أجل تحقيق العـدل، حيث من «أسـماء الله سـبحانه: العدل، وهو الـذي لا يميل به الهـوى، فيجور في الحكـم، وهو -في الأصل- مصدر سُـمِّيَ به، فوُضِع موضع العادل، وهو أبلغ منه؛ لأنّه جُعِل المسمَّى نفسه عدلاً»[9]، كما يصف

9 - ابن منظور، لسان العرب.

ابن منظـور. هذا العدل هو المحـور، فكما جاء في الحديـث: «بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّـمَاوَاتُ وَالْأَرْض»[10]. ويقول (ابن خلدون) في مقدّمته: «بإقامة العدل في القضاء والعمل، تصلح أحوال الرعيّة، وتأمن السبل، وينتصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويُؤَدّى حقّ الطاعة، ويرزق الله العافية والسـلامة، ويقيم الدين، ويجري السنن والشرائع في مجاريها»[11].

مـلءُ الأرض بالعدل يتطلّب من المنتظِريـن العملَ على الصعد كلّها، ومنهـا التمهيد لجغرافيـة الأحداث التي سـوف تجري، وسـوف يكون المؤمنون في قلبها، ومن ثمّ بناء الحضـارة الخُلُقيّة التامّة في آخر الزمان. سـوف يسعى أهل الباطل لمواجهة هذا المسـعى، وسوف يحاولون نقل المعركة إلى أراضي المسـلمين؛ لأنّ القتال يكون خارج الأسوار. لكنّهم سيُهزَمون، ويكون تحرير العالَم هو الهدف الذي سوف يتحقّق على أيدي المؤمنين.

10 - مرتضى مطهّري، العدل الإلهيّ، ص 70.

11 - ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص 39.

لائحة المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم.

2 - البنّا، جمال، نظريّة العدل في الفكرة الأوروبيّ والفكر الإسلاميّ، دار الفكر الإسلاميّ، القاهرة، 1995م.

3 - ابن رشد، مقدّمات ابن رشد، دار صادر، بيروت، لا ت.

4 - سميث، روبرت، جدوى القوّة: فنّ الحرب في العالم المعاصر، ترجمة: مازن جندلي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م.

5 - شـاميّة، فادي، القتال في العهد الراشـد، دار العلوم العربيّة، بيروت، 2009م.

6 - أرسطو، دعوة للفلسـفة، ترجمة: عبد الغفّار مكّاوي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، 1987م.

7 - ابن منظور، لسان العرب، مؤسّسـة التاريخ العربيّ ودار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1992.

8 - مطهّري، مرتضى، العدل الإلهيّ، ترجمة: محمّد عبد المنعم خاقاني، الدار الإسلاميّة، بيروت، 1997م.

9 - ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984م.

10 - Barry Buzan and Eric Herring, the Arms Dynamic in World Politics, Lynne Rienner Publishers, London, 1998.

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638